ترجمة

كلمة البروفيسور

و الاس بـيـتـرز

الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية

في الطب لعام 1403هـ/1983م

الثلاثاء 1403/5/16 هـ الموافق 1983/3/1 م

اختيار "الملاريا" كموضوع لجائزة الملك فيصل العالمية عن هذا العام يعتبر مناسباً جداً, فمن بين الأمراض التي ابتليت بها البشرية تبقى الملاريا واحدة من أكثر الأمراض تدميراً لصحة الإنسان، وفي نفس الوقت تعتبر صعبة الإستئصال. فالملاريا تمثل واحداً من أكبر التحديات للمشتغلين في مجال الطب الوقائي في العالم. فإلى اليوم يتعرض أكثر من ألف وثمانمئة مليون شخص لفتك الملاريا. وهناك ما لا يقل عن مئة وخمسون مليون حالة إصابة جديدة بالملاريا كل عام من بينها حوالي مليون حالة وفاة، خاصة بين الرضع والأطفال الصغار.

إن الطبيعة التي يستحيل التحكم فيها، قد زودت طفيل الملاريا بقدرات غير عادية للتغلب على عقار جديد يستخدم في محاولة إبادتها. وبالمثل فإن البعوض الذي يحمل الملاريا له نفس القدرات على مقاومة أشد المبيدات الحشرية التي يخترعها الإنسان.

لقد جعلت هذه المشاكل محاربة الملاريا بالعقاقير والمبيدات الحشرية ممارسة طويلة الأمد ومثبطة للهمم وغير مثمرة غالباً.

ونفس التأقلم يلاحظ أيضاً في الكثير من الميكروبات الأخرى التي تسبب معاناة وحالات موت وبخاصه بين الفقراء من سكان هذا العالم.

وعلى الرغم من مثل هذه المشاكل، فقد تم إنجاز الكثير من الأعمال في العقد الماضي، فمثلاً تم اكتشاف عقاقير جديدة قوية مضادة للطفيليات والبكتيريا، كما أصبح في متناول اليد جيل جديد من المبيدات الحشرية. هذا ويساعد كل من علم المناعة والتقدم التقني في الهندسة الوراثية على

استنباط أمصال جديدة قوية للوقاية ضد الأمراض الفيروسية، والبكتيرية، والطفيلية. ولقد تم لأول مرة تحقيق تقدّم من حيث تطوير الأمصال المستخدمة ضد الملاريا في عدة معامل بما في ذلك معملنا في "كلية لندن للصحة والطب الاستوائي".

ومنذ فترة ليست بالبعيدة، قام مدير عام هيئة الصحة العالمية بإطلاق شعاره المتطلع الطموح "الصحة للجميع في عام 2000 م. وأنا أعتقد أنه سيكون لدينا على سبيل المثال عقاقير وأمصال ومبيدات حشرية جديدة وممتازة لمحاربة الملاريا.

ولكني أعتقد في نفس الوقت، وللأسف الشديد، أنه من المحتمل أن تختصر الاستفادة بدرجة ملموسة من التطورات التقنية الجديدة على القليل من الدول الغنية بعيدة النظر مثل المملكة العربية السعودية. أما معظم الدول النامية فستكون، لسوء الحظ، في نفس الموقف الذي هي عليه الآن، بل ربما تكون في موقف أشد سوءاً من ذلك بكثير.

وللتعويض عن نسبة الوفيات المرتفعة بين الرضع والأطفال سيكون هناك معدل مواليد عالٍ باستمرار، وبذلك يستمر التضخم في عدد السكان ويزداد تضاعفه.

إن السبب الذي يدعوني للأخذ بهذه النظرة المتشائمة هو اعتقادي أنها الصورة الصادقة للمستقبل. ويرجع ذلك إلى أن المشاكل الاجتماعية والاقتصادية الواسعة المدى التي تواجه الشعوب وحكوماتها، تشكّل عقبات لا حصر لها في طريق تحسين الخدمات الصحية المتقدمة في المستقبل القريب.

أولا: في القدرة على إنتاج العقاقير والأمصال الرخيصة الثمن.
ثانيا: في القدرة على توزيعها الفعلي.

وبغض النظر عن التقدم العلمي في المستقبل فإن الكثير من الدول ينقصها اليوم الوسائل الاقتصادية والإدارية التي تمكّنهم من تطبيق وسائل الوقاية البسيطة المتوفرة لديهم حالياً والتي تؤدي

إلى إدخال تحسينات واسعة النطاق على أنفسهم وعلى تطورهم كبشر. ولا يزال هناك متسع لإنجاز الكثير من الأعمال بسهولة ويسر نسبيتين.

فزميلي وابن بلدي، السيد ديفيد مورلي، الذي وقف أمامكم هنا قبلي في العام الماضي، قد ساعد على إنشاء مستوصفات للعناية الصحية الأولية، وهناك يتعلم الناس الطرق البسيطة في تغذية وتطعيم الرضع والأطفال الذين يمثلون شباب المستقبل. كما أن العالم السويسري بول مويلر، أمكنه من خلال اكتشافه لمادة "دي. دي. تي." فتح الطريق في التحكم، ليس في البعوض الحامل للملاريا فحسب، ولكن في حشرات أخرى حاملة للمرض.

وإذا أخذنا على سبيل المثال مشكلة توفير مياه نظيفة لقرية ما، لوجدنا أن حل هذه المشكلة يعتبر من الأمور الصعبة هنا، ولكنها أمر يسير في بلدان أخرى تتميز بغزارة هطول الأمطار. هذا بالإضافة إلى استئصال الكثير من البكتريا والطفيليات التي قد فرضت ضريبة كبيرة على الصحة والحياة، في العديد من البلدان، حيث يمكن القول بأن العالم تمكن حتى الآن من استئصال مرض واحد كان يفتك بالبشرية، ألا وهو "الجدري". أما الأمراض الأخرى فما زالت قائمة.

إن التقدم المبرز في مجالي الطب العلاجي والوقائي، والذي تم إحرازه في المملكة العربية السعودية، وكذا النجاح الذي حققه المسؤولون عن الطب في العناية بصحة الملايين من الحجيج، الذين يفدون للحج إلى الأماكن المقدّسة كل عام، تبين ما يمكن اتخاذه وإنجازه إذا توفرت العزيمة والوسائل.

ومما لا شك فيه أن حل مشاكل بعض الأمراض يحتاج إلى معلومات علمية جديدة. ولنأخذ على سبيل المثال برنامجكم الوطني الجديد حول بحوث مرض "اللشمانيا"، التي ستساعد على مقاومة هذه العدوى الطفيلية الخطيرة في هذا الوطن وفي غيره من بلدان الوطن العربي الأخرى.

إن جائزة الملك فيصل العالمية تعطي حافزاً جديداً على محاربة الأمراض الاستوائية، وسوف يكون موضوع العام القادم عن "الإسهال"، موضوعاً جديراً بالبحث والعناية. إنها الجائزة العالمية

الوحيدة من هذه المرتبة المصممة خصيصاً لتكريم البحوث الموجهة إلى تحسين صحة الناس غير المقتدرين من سكان هذا العالم.

وباعتباري الطبيب والعالم الذي تم انتخابه لنيل هذا الشرف العظيم باستلام جائزة الملك فيصل العالمية عن عام 1983 في الطب، فإني مدرك أن دوري هو تمثيل الكثير من الناس في مختلف بلدان العالم النامي والغربيين الذين أسعدني الحظ بالعمل معهم خلال الخمس والثلاثين عاماً الماضية في كل من المعمل والحقل.

وبتعبيري عن امتناني القلبي إلى أعضاء لجنة الجوائز أرجو أن أترك بين أيديكم الرسالة الآتية: لا يكفي أن نحسّن من أسلحتنا لمحاربة المرض، عن طريق البحث العلمي، بل يجب علينا أيضا استخدامها. ويحتاج تحقيق ذلك إلى المال، والتنظيم، والوعي الاجتماعي، للتخلص من الملاريا. وعلى سبيل المثال، يتوجب علينا أن نستخدم جميع الأسلحة الموجودة في أيدينا، ولا يقتصر ذلك على العقاقير والمبيدات الحشرية، بل يمتد ليشمل الأمصال أيضا.

لقد أصبح تطوير هذه الأسلحة في المعمل من الأمور السهلة نسبياً في الوقت الحاضر. إن الصعوبة تنحصر في إنتاج الأمصال بكميات ضخمة نحتاج إليها في مقاومة الملاريا وتأسيس تنظيم فعّال لاستعمال هذه العقاقير وغيرها من وسائل التحكم في حماية أرواح الملايين من البشر المحتاجين إليها.

إن بحوث تطوير العقاقير والأمصال المضادة للملاريا تواجه مصاعب مالية في الوقت الحاضر، وفي اعتقادي أننا بحاجة ماسة إلى إنشاء صندوق دولي خاص لمساندة هذا العمل لتوفير العقاقير الجديدة وأمصال الملاريا، باعتبارها أسلحة قوية جداً نستخدمها في استئصال الملاريا. إنها حقاً في متناول يدينا.

لقد قام كل من الدكتور جوناس سالك، مخترع مصل شلل الأطفال، وروبرت ماكنامارا، وزير الدولة السابق بالولايات المتحدة الأمريكية، بتكوين لجنة دولية لمساندة برنامج طموح لتطعيم جميع أطفال العالم ضد عدد من الأمراض الفتّاكة الأخرى.

إن تضمين هذه الحملة لمصل مؤثر ضد مرض الملاريا من شأنه أن يعطي حافزاً كبيراً لحماية صحة الملايين من أطفال العالم الثالث ومساعدتهم على البقاء.

إن الخفض الكبير في وفيات الأطفال المتبوع بتوقف في الزيادة المضطردة لسكان العالم يؤدي إلى خفض في معدّلات سوء التغذية، ومن ثم تحقيق تحسين كامل في صحة مواطني هذا العالم.
إنني أشكركم مرة أخرى على الشرف العظيم الذي طوّقتم به عنقي، وكرّمتم به زملائي من خلال تكريمي، في كثير من بقاع العالم ممن كرّسوا حياتهم في محاربة الملاريا.